ما يلامون عليه يحمد الله ولا يستنزطا في النعمة الغرسة كما قال صلعم لمن قال له من جيش مؤتة نحن
الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم مع بعد المسافة وانما هو فئة لكره اخرى
ولذا استحسن اعتذار الحرث بن هشام حين عيره حسان رضي الله عنه بقوله

ان كنت صادقة الذي حدثتني • فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة لم يقاتل دونهم • ونجى برأس طمرة ولجام

فقال الحرث

الله يعلم ما تركت قتالهم • حتى رموا فرسي باشقر مزبد
ووجدت ريح الموت من تلقائهم • في مأزق والخيل لم تتبدد
وعلمت اني ان اقاتل مفردا • اقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدفت عنهم والاحبة دونهم • طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

قوله تعالى وما رميت اذ رميت يعني ان ذلك الرمي ليس من اثار رمي البشر اذ ملأت عيون
المشركين وتفرق بهذا التفرق الخاص واندفعت ذلك الاندفاع ورمي البشر
انما يكون صوبا واحدا وسلع جدا معتادا وعلى قبضة الرجل عن ذلك المقدار فقوله
رميت باعتبار ما وقع من الرسول صلعم من رمي البشر المعتاد وقوله ما رميت اي الرمي
الذي له الاثر الخاص وكل عربي يفهم ما قلنا وانما شرحناه لهذه العميان الذين
قالوا معناه رميت كسبا وما رميت خلقا تكميلا للتلبيس وعادة لابليس
وقوله فلم تقتلوهم مثلما ذكرنا وهي طريقة واضحة عرفية عامة يقولون ما فعلت الذي
فعلت نفي الاشكال على منصف بل هذه مناهجاراه للتعسف المتبجح واي
خصوصية بزعمهم لهذه الآية اذ يقال في كل فعل ما فعلت خلقا اذ فعلت كسبا وهل
الاسناد الا عندهم ولكن الله رمى خلقا ام خلقا وكسبا ويكون على الآخر امحضا
وكلاهما ظاهر الفساد والحاصل ان الاسناد الى الله تعالى في القتل والرمي مجاز
لتهيئة الاسباب وكون اثر الرمي ليس من مقدورات العباد وعكسه التعسير
قال ابن المنير هنا من اوضح علامات المجاز ان ينفي فيصدق ثم قال فافهم هذه الاية

يكفي

الاملا

١٠٥

يكفي بها لمن ينفي وجوه القدرية واياك ان تعرج على تعكيس الزمخشري في تأويل الآية فانه
فانه نظر اعرج وباطل لجلج والحق ابلج انتهى والجواب القول بالموجب ونقول تتميما
ملت في الزمخشري من الدعوى المجردة ولنأتي بسنة الله ورسوله من ضرب الامثال
للمعاندين سلم مهيا اسباب الذبح جميعها وذبح كافر والعكس تولى فري الاوداج
وقطع الحلقوم فسلم وقد هيأ جميع الاسباب كافر وبه المثل الاعلى فاي الذبيحتين
تحل ان قلت العبرة بالمباشرة خرجت منا عن مذهبك وان قلت العبرة بالاسباب
خالفت جميع المسلمين ولا يبقى بعد هذا البيان الا الباطل قوله تعالى ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اي المسلوبين الآلات الثلاث وهي السمع و
البصر والفؤاد في عدم الانتفاع لعدم استعمالهم لها في امر الدين مع تمام الحجة عليهم
بالتمكين من استعمالها ومع ذلك ففي قدرة الله سبحانه ان يردف التمكين بالطاف تحملهم
على الانتفاع والوصول الى المقصود ولكنه لو فعل بهم ذلك لجاؤا بما ينافي ذلك من التولي
عن الخير فلم يكن منهم بعد الا ان يضلوا على علم فتركهم سبحانه على الضلال على الجهل فكانه
قال سبحانه ولو شاء ان يضبعهم الى الخير لازدادوا ارتكاسا في الشر وتحقق لزومه
لهم كانه ضربة لازب هكذا ينبغي ان يفهم على حسب ما قررناه مرارا وحاصل ما في الكشاف
على قاعدته ما علم الله لهم لطفا نافعا ولو لطف بهم لطفا غير نافع لما انتفعوا فالحاصل ان شر
الدواب عند الله من لا لطف له في القدر ونظم بقية الكلام ذمهم اذ لا يقف ذكرهم على اختيارهم
وعلى ما ذكرنا يفيده اذ تركوا العمل مع الامكان المجرد ومع اللطف بحسب العلم فهم اهل
للذم مع ما وجد ومع ما فرض وجوده ولا ينافي ذلك ان في قدرة الله سبحانه ما يهتدون
عنده كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قوله تعالى ان الله يحول بين
المرء وقلبه الظاهر والله اعلم ان الله سبحانه كالشيء المتوسط للشمس المعترض من
احد جانبيه الى الاخر في الازم مروره به اي يعلم الخواطر ولا يستعمل العبد قلبه في
هدى او ضلالة الا بتوفيق الله او خذلانه او اضلاله وهذا يشمل التفاسير

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1